

فلسفة التصوف عند الشُّشْتَرِي وأثرها في الحركة العلمية قديما
The philosophy of Sufism according to Shushtari and its
impact on the ancient scientific movement

سعدون زكية¹

¹ جامعة سطيف 2 (الجزائر)، zakia.sadoun@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/11/15 تاريخ القبول: 2024/09/13 تاريخ النشر: 2024/10/01

ملخص:

يعالج هذا البحث فلسفة التصوف عند المتصوف الشاعر الشهير أبي الحسن الششتري، وأثرها في الدراسات العلمية في عصره سواء الموافقة لمذهبه، أو المخالفة لتصوراته والطاعنة في أفكاره، وكذلك في العصور التي جاءت بعده، والتي كان أبو الحسن الششتري وتصوفه موضوعا لها.

فالمقال فيه تعريف بالششتري وفلسفته وتراثه العلمي والأدبي، وفيه وصف وتتبع لما أثاره الششتري من نقاشات ودراسات وإنتاج علمي ارتبط بتراثه وشخصيته، قديما، سواء في الدفاع عنه وعن أفكاره، أو في شرح قصائده التي تبين مواقفه ومبادئه، أو في تلخيص مؤلفاته ورسائله لتقريبها من المريد.

ويهدف البحث بذلك إلى تسليط الضوء على واحد من كبار أقطاب التصوف في التاريخ الإسلامي، خصوصا وأنه يعتبر جزائري المنزل، كونه دخل الجزائر وأقام فيها مدة من الزمن والتقى بعلمائها وأقطابها، فيكون للبحث جانب من التعريف بالتراث الجزائري أيضا.

كلمات مفتاحية: الششتري، فلسفة، التصوف، الأثر، الحركة العلمية.

Abstract:

This research deals with the philosophy of Sufism according to the famous mystic poet Abu Al-Hasan Al-

Shushtari, and its impact on scientific studies in his era, whether agreeing with his doctrine, or contradicting his perceptions and challenging his ideas, as well as in the eras that came after him, for which Abu Al-Hasan Al-Shushtari and his Sufism were the subject.

The article contains an introduction to Al-Shushtari, his philosophy, and his scientific and literary heritage, and it describes and traces the discussions, studies, and scientific production that Al-Shashtari raised that were linked to his heritage and personality, in the past, whether in defending him and his ideas, or in explaining his poems that show his positions and principles, or in summarizing his writings and letters to bring them closer to the disciples.

Keywords: Al-Shushtari, philosophy, Sufism, influence, scientific movement.

*المؤلف المرسل: زكية سعدون

1. مقدمة

يعالج هذا البحث فلسفة التصوف عند المتصوف الشاعر الشهير أبي الحسن الششتري، وأثرها في الدراسات العلمية في عصره سواء الموافقة لمذهبه، أو المخالفة لتصوراته والطاعة في أفكاره، وكذلك في العصور التي جاءت بعده، إضافة إلى الدراسات الأكاديمية في العصر الحديث ووقتنا المعاصر، والتي كان أبو الحسن الششتري وتصوفه موضوعا لها، سواء في الرسائل والأطاريح العلمية الجامعية، أو الكتب الأكاديمية المستقلة، أو حتى المقالات العلمية، إضافة إلى تراثه المخطوط الذي تم دراسته وتحقيقه، والتعريف به وبمضامينه ومحتوياته. فالمقال فيه تعريف بالششتري وفلسفته وتراثه العلمي والأدبي، وفيه وصف وتبع لما أثاره الششتري من نقاشات ودراسات وإنتاج علمي ارتبط بتراثه وشخصيته، سواء قديما أو حديثا.

فلسفة التصوف عند الششتري وأثرها في الدراسات العلمية والأكاديمية

ويهدف البحث بذلك إلى تسليط الضوء على واحد من كبار أقطاب التصوف في التاريخ الإسلامي، خصوصاً وأنه يعتبر جزائري المنزل، كونه دخل الجزائر وأقام فيها مدة من الزمن والتقى بعلمائها وأقطابها، فيكون للبحث جانب من التعريف بالتراث الجزائري أيضاً.

2. الششتري وعصره :

1.2 التصوف الأندلسي:

عرف العصر الأندلسي حركة فكرية نشيطة، فقد بلغ التصوف في تلك الحقبة مرتبة عالية ومزدهرة، ساهمت في إخراج مجموعة من الشعراء الصوفيين الذين أصبحوا نموذجاً يحتذى به من وراءهم. فالتصوف هو المرآة التي تعكس الحياة الروحية الإسلامية آنذاك باعتبار أن مصدره الحقيقي هو الإسلام الذي يترأسه القرآن والسنة النبوية، إلا أن الفكر التصوفي أصبح فلسفياً، وذلك من خلال تسلط مجموعة من الأفكار والعقائد الخاطئة التي أدت به إلى تغير بعض من مبادئه، كالتى نجدها عند رابعة العدوية في حبها الإلهي والحلاج في وحدته، وعند ابن سبعيني وتلميذه الششتري في الوحدة المطلقة. (طعيمة، 2005، صفحة 26)

إن التصوف في الأندلس لم يحظى بالدراسة الكافية، فربما كان ولا يزال مغيباً، فالباحثون لم يعطوه حقه كما يستحقه من تحليل وشرح، وهذا ما أدى بالفعل إلى تهميش شعراء هذا العصر، لكن بالرغم من هذا يبقون الشعراء الأكثر مكانة ولم ينقص من قيمتهم شيء. ومن بين هؤلاء الشعراء نجد أبو الحسن الششتري الذي يعد شاعراً مبدعاً ومجدداً. (العدلوني، 2005، صفحة 35)

2.2 حياة الششتري ومسيرته

هو علي بن عبد الله النمري نسبة إلى بني نمير، بطن من بطون هوازن العربية، والششتري نسبة للقرية التي ولد بها وهي من أعمال وادي آش. ولد حوالي

زكية سعدون

سنة 610 هـ، من ألقابه المديني والسبعيني، فالمديني نسبة إلى أبي مدين شعيب (ت594هـ) والسبعيني نسبة إلى شيخه عبد الحق بن سبعيني (ت668هـ).

نشأ في أسرة عظيمة الجاه، كان أفرادها من أعيان الدولة، ومع أنه كان وزيرا وعالما فقد طلب عبد الحق بن سبعين منه أن يمسك علما ويدور في الأسواق متغنيا. (العدلوني، أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية، 2005، صفحة 19)

وقد صنفه الغربيون في زمرة المحصلين، وذكره لسان الدين ابن خطيب وقال: إنه كان مجودا للقرآن قائما عليه عارفا بمعانيه، من أهل العلم والعمل. وقد ذكر أيضا الشيخ زروق أن الششتري كان يقرأ عليه القرآن والسنن وكان عارفا بالحديث وكان يجيز في المستصفي. وقال الغبريني "إن له معرفة بالحكمة، وتقدما في علمي النظم والنثر على طريقة التحقيق، وقد توفي يوم 7 من صفر سنة 668 هـ الموافق لـ 6 أكتوبر 1269م. بشهور قليلة بعد وفاة شيخه ابن سبعين. (كروم، 2011، صفحة 23)

ومنه فإن ثقافة الششتري اتصفت بالشساعة والتنوع، وهذا ما جعله مرجعا في عصره ومحل إعجاب مترجميه.

- انقسم تلاميذه إلى قسمين: مباشرين وغير مباشرين، فبالنسبة للمباشرين هم الذين كانوا يلزمونه في أسفاره ويتلقفون أقواله وأحواله، فقد كانوا يؤمنون بمجالسه العلمية ومنهم أحمد يعقوب بن مبشر.

أما غير المباشرين فهم كثيرون فقد اهتموا بطريقته الصوفية وبمنهجه في معالجة قضاياها وأسلوبه في التعبير عنها. وقد ترجم له أبو العباس الغبريني ت704 هـ ترجمة تفيض إعجابا. كما كان اعجاب عبد الله بن عباد الرندي الصوفي الشهير (ت793 هـ) بالششتري شديدا. ومن المشرق الإسلامي نجد الشيخ عبد الغني النابلسي ت1143 هـ الذي اتبع طريقته الصوفية والشعرية وألف رسالة في الدفاع عنه سماها: "الرد المفترى عن الطعن في الششتري" (كروم، 2011، صفحة 25)

فلسفة التصوف عند الششتري وأثرها في الدراسات العلمية والأكاديمية

- أما أساتذته، فهم كذلك مباشرين وغير مباشرين، فمن أساتذته المباشرين نذكر:

- ابن سراقه محمد أبو بكر الشاطبي (522-662هـ)، من كتبه نجد "الإعجاز القرآني في الحيل الشرعية" و "آداب الشهود في التصوف".

- عبد الحق بن سبعين الغافقي (614-668هـ) من مؤلفاته "بد العارف" أما رسائله نذكر منها "حزب الفرج"، "رسالة العهد" ... وغيرها.

أما غير المباشرين نجد:

- محيي الدين بن عربي متوفي سنة 560هـ، من أعماله: الفتوحات المكية، ديوان ترجمان الأشواق.. الخ

- شهاب الدين السهروردي توفي سنة 588هـ، من كتبه نجد "حكمة الإشراق"، "هياكل النور"

- كما نذكر الحلاج (توفي سنة 309هـ) والشبلي (توفي سنة 334هـ) وابن قيس (توفي سنة 546هـ) وغيرهم. (العدلوني، أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية، 2005، صفحة 22)

- وبخصوص أعماله فتنقسم إلى شعرية ونثرية:

أما الشعرية: فقد خلف لنا الششتري كغيره من الشعراء شعرا ترجم فيه أحاسيسه وتجربته الصوفية، والشيء الذي زاد شعر الششتري شهرة هو إهتمامه بكتابة الأزجال والموشحات حيث يقول علي سامي النشار: وهو محقق ديوان الششتري في مقدمته أن الششتري أول من استخدم الزجل في التصوف.

حيث تتمثل مؤلفاته في ديوانين كبير وصغير، فالكبير خصص للأشعار المطولة أما الصغير احتوى أشعار قصيرة والمقطعات فقط.

في حين تمثلت مؤلفاته النثرية فيما يلي :

زكية سعدون

- المقاليد الوجودية : وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة رسائل ابن سبعين مكونة من حوالي 15 رسالة تقع في ستة وثلاثين ومائتين ورقة تمثل مخطوطة المقاليد الوجودية منها سبع عشر ورقة ويحمل رقم 149، تصوف ميكروفيلم 9986 وله نسخة أخرى رقم 2443 بنفس المكتبة.

- الرسالة البغدادية: هذه الرسالة تدعى كذلك الخرافة البغدادية وهي رسالة صغيرة صفحاتها لا تتعدى العشرة من القطع المتوسط، لها نسخة مخطوطة واحدة بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا.

- الرسالة العلمية : هذا المؤلف لأبي الحسن الششتري عرف بعنوان "الرسالة العلمية" وحسب معلوماتنا، ليس منه سوى نسخة مخطوطة واحدة بدار الكتب المصرية (رقم 3/265 تصوف ص 608 إلى ص 695 كتبت بخط مغربي رديء تصعب قراءته وقد قام "ابن ليون التجيبي" بإختصاره في كتاب أسماه "الرسالة العلمية في طريقة الفقراء المتجردين من الصوفية". (كروم، 2011، صفحة 26)

- وقد وصلنا إلى رسالة أخرى للششتري كانت مجهولة، وجدنا منها نسخة مخطوطة بمكتبة شهيد علي باشا بتركيا ، ضمن مجموع رقمه 1389، واطلعنا على نسخته المصورة، وجاء فيها أن عنوان هذه الرسالة هو: الرسالة القدمية المشعرة بالعلوم اللدنية، من 14 صفحة فقط، جاء في أولها: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي مظهر الكمال مظهر التجليات الخليليات الثلاثيات المعبر عنها بالذات والصفات والأفعال..." ويبدو من مضمون الرسالة أنها في فكرة وحدة الوجود وشرحها، وقد أورد فيها قصيدة من شعره وهي الطائبة التي مطلعها:

دُجِيَ غَمِّبَ التفريقِ قد زال واشمطاً وأقبلَ صُبْحُ الجمعِ منْ بعد ما شَطَاً

وهي رسالة نفيسة من تراث الششتري وجب الالتفات إليها والعناية بها وصفا ودراسة وتحقيقا وشرحاً. (الششتري، مخطوط)

3. مراحل تطور فلسفة التصوف عند الششتري:

فلسفة التصوف عند الششتري وأثرها في الدراسات العلمية والأكاديمية

مر الششتري بمراحل في حياته للبحث والوصول إلى الحقيقة الصوفية المطلقة، وقد خصص الباحث محمد العدلوني كتابا فصل فيه فلسفة التصوف عند الششتري بتوسع كبير جعله مصدرا في بابيه يرجع إليه فيه، وسنختصر منه هذه المراحل التي يمكن تقسيمها إلى:

1.3. مرحلة التربية والتكوين

قضى الششتري عدة سنوات في بداية حياته بالأندلس، تلقى خلالها تربية عالية، حيث حفظ القرآن الكريم في صغره، وأتقنه بعدة روايات، مع تجويده الكامل، كما درس العلوم الشرعية والحديث والفقه وأصوله، والعلوم اللغوية بمختلف فروعها على الكثير من علماء الأندلس، فتأثر في الأدب بزجال الأندلس ابن قزمان، وفي التصوف بابن سراقه ومدرسته الذوقية. (العدلوني، أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية، 2005، صفحة 60)

2.3. مرحلة الزهد والتصوف والبحث عن الحقيقة

بعد مرحلة الشباب مال الششتري إلى الزهد والتصوف، وعاش بقية حياته هائما مسافرا باحثا عن الحقيقة، فقد هجر الششتري حياة الترف ومال إلى الزهد والتقشف، وترك الأندلس وانتقل إلى المغرب، حيث بقي متنقلا بين مدنه (سبتة، الرباط، سلا، مكناس، فاس) مدة طويلة باحثا عن الحقيقة ومنشدا في أسواقها، وانتقل بعد ذلك إلى بجاية، ثم توجه إلى قابس وطرابلس حيث أصبح له مريدين وأتباع، ونظرا لعلمه الواسع في الحديث والفقه عرض عليه قضاء طرابلس، فرفضه، فاتهم بالجنون. (زروق، 2019، صفحة 38)

3.3. مرحلة (وحدة الوجود) اتباع أبي مدين وابن عربي

زكية سعدون

عاد الششتري في محطة أخرى إلى بجاية لينخرط في الطريقة المدينية نسبة إلى سيدي أبو مدين التلمساني، فتأثر كثيرا بأفكاره، وبأفكار ابن عربي خصوصا فكرة وحدة الوجود، ويتبين ذلك في الكثير من أشعاره في ديوانه حيث يعبر فيها الششتري عن حقيقة الوجود المطلق لله، ولمعرفة الله وإدراكه يدعو إلى الرجوع إلى الذات، لأنها منبع كل حقيقة وإلهام بعد طول المجاهدة والفناء. (كروم، 2011، صفحة 32)

4.3. مرحلة (الوحدة المطلقة) اتباع ابن سبعين

أثناء مقامه ببجاية التقى الششتري بابن سبعين سنة 648 هـ ، فقال له في القصة الشهيرة: إن كنت تريد الجنة فسر إلى أبي مدين، وإن كنت تريد رب الجنة فهلم إلي، فعزم الششتري على الانخراط في مدرسة ابن سبعين الصوفية، بعد أن افتتن بشخصيته، وأسرته بعلومه وحقائقه، فأصبح من مريديه، وانقاد له، واعتنق مذهبه الصوفي المتطرف القائل بالوحدة المطلقة، وأصبحت أشعاره وأفكاره تعبر عن ذلك بكل وضوح، ولزم الششتري ابن سبعين ببجاية إلى أن غادرها إلى مصر (زروق، 2019، صفحة 41).

5.3. مرحلة (التصوف المعتدل) اتباع الطريقة الشاذلية

أهم مرحلة من حياة الششتري عموما ومسيرته في التصوف خصوصا، هي تلك المرحلة التي قضاها في مصر، حيث أقام بالإسكندرية، واعتنق المذهب الصوفي الشاذلي، وأصبح يكن له كامل الاحترام، وتبرأ مما كان عليه من قبل، وفي مقدمة ذلك فكرة وحدة الوجود، وكانت أزجاله وأشعاره التي نظمها في هذه المرحلة تعبر كلها عن فكره الصوفي السني المعتدل الجديد، فقد استقر الششتري بعد ذلك بجامع الأزهر

وأصبح أستاذا يعلم ويدرس أصول الفقه وعلوم الشريعة، فتبعه الكثيرون بسبب ذلك، وبقي على هذا التوجه إلى آخر حياته. (العدلوني، أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية، 2005، صفحة 92)

4. أثر فلسفة الششتري في الحركة العلمية قديما

كان للششتري مكانة مميزة بين الأوساط العلمية والأدبية والدينية على حد سواء فهو شاعر وفيلسوف ومتصوف، وقد نالت آثاره العلمية وإنتاجه الأدبي والصوفي الكثير من الاهتمام والعناية بعده، من تدارس ومباحثة وانتقاد وشرح وغيرها من أشكال التفاعل العلمي،. يمكن أن نسرد هنا أهم هذه المؤلفات التي تعرضت للششتري بالبحث والدراسة قديما وهي:

1.4. كتاب رد المفترى عن الطعن في الششتري لعبد الغني النابلسي

وهو كتاب من تأليف عبد الغني النابلسي العالم الصوفي الشهير، وهي رسالة مختصرة رأى مؤلفها النابلسي شدة الانتقاد الموجه من الفقهاء ومن العامة، إلى الصوفيين وخاصة أصحاب التصوف الفلسفي، وعلى رأسهم الششتري، ولهذا هب النابلسي للدفاع عن آراء الششتري، وإبعاد الشبهات عنه، قام فيها بشرح قصيدة الششتري الخمرية، وتأويل معانيها، وتلمسه رموزا عرفانية لها، وقد قدم لهذه الرسالة وعرف بها وحقق نصها أغناطيوس خليفة اليسوعي في مجلة المشرق سنة 1960، (النابلسي، 1960)، ثم أعاد تحقيقها بشكل أدق وبإعناية أكبر الباحث موسى محمد فرحات في مجلة وادي النيل سنة 2015. (النابلسي، رد المفترى عن الطعن في الشُّشْتُري، 2015)

2.4. شرح النونية والمقطعات الششتري لأحمد زروق

وهو كتاب من تأليف الشيخ أحمد زروق، قام فيه بشرح القصيدة الشهيرة للششتري والتي تسمى بالنونية، كما شرح أيضا فيه بعض المقطعات الششتري التي نظمها في التصوف وفلسفته، ومضمون القصيدة النونية حسب شرحه هذا يدور حول المذهب الصوفي الذي انتهجه، والذي هو تركيب وتهذيب لأهم النظريات الصوفية والفلسفية التي عرفتها الثقافة والفكر الإنسانيين، وتقدم إشارات قصيرة ولكنها دقيقة، لأهم الآراء والأفكار التي أخذ بها، ويذكر فيها عددا من الأساتذة والأشياخ الذين اقتدى بهم، والذين كانوا أئمة للمذاهب الصوفية المشهورين في عصره، مثل ابن سبعين وابن عربي، كما يذكر عددا آخر من شيوخ التصوف والفلسفة من عصور سابقة لعصره، أثروا في التصوف بالغرب الإسلامي عامة، وفي التصوف الفلسفي الأندلسي على وجه الخصوص مثل الشاذلي والنفري وأبي مدين والغزالي وغيرهم، وقبلهم يذكر فلاسفة اليونان مثل أفلاطون وسقراط، محاولا من كل ذلك الكشف عن جذور التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي. وقد حقق هذا الشرح الشيخ محمد إدريس طيب سنة 2019. (زروق، 2019)

3.4. شرح نونية الششتري لابن عجيبة

وهو كتاب من تأليف الشيخ ابن عجيبة الحسني، قام فيه بشرح القصيدة الشهيرة للششتري والتي تسمى بالنونية والتي شرحها أحمد زروق قبله وسبق ذكرها والحديث عنها قبله أيضا في هذا المقال، ولكن مضمون القصيدة في شرح ابن عجيبة هذا اتخذ منحنى خاصا، فبصفته أحد رجال الطريقة المتميزين، وشيوخها

المعتبرين، حاول بت الآراء الصوفية، وتلقين السلوكات الأخلاقية السامية، هدفه الموجه هو تصحيح مسار التصوف في عصره وإصلاح أوضاعه، التي بلغت درجة كبيرة من الانحلال، موظفا من أجل ذلك ثقافته الفقهية، وإطلاعه العلمي، وفي بداية شرحه يوجه انتقادا لأحمد زروق الشارح السابق له، لأنه اقتصر على حل معنى ألفاظها، وتبيان معانيها سطحيا، دون القدرة على الغوص في غوامضها والكشف عن أسرارها الربانية، وقد حقق هذا الشرح محقق ديوان الششتري أيضا الباحث محمد العدلوني الإدريسي سنة 2013 (عجيبة، 2013، صفحة 30)

4.4. الشراب المري في شرح قصيدة الشُّشْتَرِي لحسين بن طعمة القادري

وهو شرح للصوفي المتأخر حسين بن طعمة البيتماني الميداني الدمشقي الشافعي القادري المتوفي سنة 1175 هـ، ولا يزال هذا الشرح مخطوطا في نسخة فريدة في المكتبة الفلسطينية التي استولى عليها الاحتلال، وجاء في وصف هذا المخطوط وبدايته ونهايته حسب موقع مكتبة الاحتلال ما نصه:

" إن القصيدة الخمرية العيسوية لأبي الحسن علي بن عبد الله الششتري النميري الفاسي المتوفى بالقرب من دمياط سنة 668 هجري/ 1270، وشرحها على لسان أهل المعرفة الشيخ حسين بن طعمة البيتماني الميداني الدمشقي الشافعي القادري تلميذ الاستاذ الشيخ عبد الغني بن اسمعيل النابلسي والمتوفى سنة 1175 هجري/ 1762، فرغ منه نهار الاثنين ختام جمادى الأولى 1151 هجري/ 1738 (انظر ترجمته ابن العماد الحنبلي، عبد العلي بن احمد.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب. القاهرة، 1350-1351، 2:52-

55 حيث يعد تسعة من تأليفاته وأولها هذا الشرح).

نسخة تمت كتابتها في نهار الثنين جمادى الآخر 1269 هجري/
1853.

أول النسخة: "الحمد لله الذي فتح للأولياء المقربين بمفاتيح القرب أبواب المعارف الربانية اما بعد فيقول .. \الشارح\ تلميذ .. الشيخ عبد الغني .. النابلسي \قدس الله سره\ ونور ضريحه لما وقفت على هذه القصيدة .. الخمرية التي هي للعارف بالله .. الشيخ ابي الحسن الششتري .. تلميذ .. الشيخ عبد الحق ابن سبعين .. التي استخرجها من المشكاة المحمدية الجامعة لجميع مشارب الانبياء والمرسلين \صلى الله عليه وسلم\ بلسان المشرب العيسوى على مقتضى الاصطلاح الانجيلي والمعنى السرياني والمقام القدسي ... ورايت عباراتها مشكلة (!) على من يقف علي اصطلاح مؤلفها وقد يتوهم الجاهل بذلك فيما ما يقتضى الخطا والكفر حيث يفهم ان الناظم يمدح اهل الكفر ويحث على خدمتهم ومن ثم اردت ان اشرح معانيها بلسان الفرقان ... ويا لها من من قصيدة .. تفيد الاداب والسلوك ... حيث جرد من نفسه مخاطبا صورتى شيخ ومريد ... وسميته \كذا\ .. قال المؤلف \قدس الله سره\ تادب بباب الدير واخلع به النعلا : وسلم على الرهبان واحطط بهم رحلا يقول اذا اردت الدخول .. الى حضرة الحق تعالى من طريق السلوك المحمدي على المشرب العيسوى وقف على باب دير الازل وهو الشرع المحمدي الخ"; وآخره: "فصاحب البيت ادرى بما فيه وفي هذا القدر كفاية .. وكان الفراغ من وضع هذا الشرح \الخ" (القادري، 2023)

5.4. تلخيص الرسالة الششترية لابن ليون التجيبي:

هي في الأصل رسالة للششتري تسمى الرسالة العلمية وهي ذات قيمة فكرية كبيرة، فهي تعبر عن مرحلة هامة من مراحل معراج الششتري الصوفي إضافة إلى كونها ذات قيمة تاريخية لأنها تشير إلى ذلك الصراع الذي احتدم بين الفقهاء والعامة التابعين لهم وبين المتصوفة.

فهذا الكتاب (الرسالة العلمية) وضعه المؤلف لما رأى إنكار المباح على الفقراء المتجربين، فأجلى ما خفي من أمورهم عن المتقدمين، أظهر ما نبوا عليه مناهجهم من السنن، إذ هم أطوع الناس للسنة والكتاب وأبعدهم من الخطأ وأقربهم للصواب، وقد حصر المؤلف القضايا التي قاربها بهذه الرسالة في عشرة علوم: علم في أصل طريقهم، علم في تجريدهم وظهورهم بالسنة ومكارم الأخلاق وظهور غيرهم بحليتهم وخفائهم عن الناس، وعلم في أصل الإنكار عليهم من أين منشأ علم في الانفصال، عما أنكر عليهم، وعلم في السماع ولواحقه، وعلم في علومهم وفي عبادتهم وأين هم من الصوفية، وعلم في المشيخة والخدمة والتربية وعلم في آدابهم وعلم في توحيدهم، وعلم في الألفاظ الدائرة بينهم.

وقام ابن ليون التجيبي المتوفي سنة 750 هـ بتلخيص هذه الرسالة لأهميتها وشهرتها رغبة منه في تقريبها للطلبة والمريدين، وسعى تلخيصه: "الإنالة العلمية في الرسالة العلمية في طريق المتجربين من الصوفية"، وقال في مقدمتها عن منهجه في تلخيصها: "على أنني لم آخذ من عيون رسالته إلا النواظر، ولم أقتطف من حدائق روضاته إلا الأزاهر، وخالفت ترتيبه في مواضع قصدا للمناسبة والتيسير، وسقت كلامه بلفظه في الأكثر من غير زيادة عليه تحاميا من التطويل

زكية سعدون

والتغيير، لكن قيدت بعض الكلام وفسرت معنى لفظ بينهم، وكملت في مواضع بعد تثبت معنى لم يتم، ورتبت ألفاظ العلم الآخر منها على حروف المعجم ليكون النظر فيها لمن ابتغى لفظه منها أيسر وأحكم..."، وقد حقق الرسالة وتلخيصها الباحث المتخصص في تراث الششتري محمد العدلوني الإدريسي سنة 2004 (التجبي، 2004)

6.4. شرح قصيدة الششتري لرشيد ابن سنان

وهو شرح للشيخ ابن سنان قزىها المعروف برشيد أفندي ابن سنان وهو من شيوخ العلامة جمال الدين القاسمي، على قصيدة الششتري اللامية التي مطلعها:

تأدب بباب الدير واخلع به النعلا

وسلم على الرهبان واحطط بهم رحلا

هذا الشرح سماه "روضة الكاملين لأجل ترغيب القاصدين ولا يزال مخطوطا توجد نسخة منه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم 4135، وهو ضمن مجموع جاء فيه هذا الشرح هو أول المجموع، بدايته: "الحمد لله الذي فتح للأولياء المقربين أبوابه الربانية، وشرف العلماء المكرمين بالأحكام الشرعية... وسميته روضة الكاملين لأجل ترغيب القاصدين، قال الناظم قدس الله سره..."، وختمها الشارح بقصيدة من نظمته في المدح النبوي مطلعها:

يا أيها البحر الذي هو زاخر كل البحور غدت لديك سواق

(سنان، مخطوط)

5. خاتمة

فلسفة التصوف عند الششتري وأثرها في الدراسات العلمية والأكاديمية

رأينا في هذا البحث وصفا للتصوف في الأندلس، وتعريفا بالشاعر المتصوف أبي الحسن الششتري، مع ذكر تلاميذه وشيوخه، وسرد مؤلفاته الشعرية والنثرية، ثم ذكرنا فلسفته الصوفية ومراحل تطورها عبر مختلف الطرق والمذاهب الصوفية، وبعدها ذكرنا أثر هذه الفلسفة الصوفية للششتري في الحركة العلمية قديما، من رد وشرح وتلخيص، ووصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- للششتري رسالة مجهولة لم تُذكر من قبل في مؤلفاته، وقد عثرنا عليها مخطوطة بمكتبة شهيد علي باشا بتركيا، ضمن مجموع رقمه 1389، واطلعنا على نسخته المصورة، وجاء فيها أن عنوان هذه الرسالة هو: الرسالة القديمة المشعرة بالعلوم اللدنية.
- من مظاهر تأثير فلسفة الششتري الصوفية في الحركة العلمية قيام بعضهم بالدفاع عنه ورد الاعتراضات والانتقادات التي وجهت له ولأفكاره، مثلما فعل عبد الغني النابلسي في كتابه رد المفترى عن الطعن في الششتري.
- من مظاهر تأثير فلسفة الششتري الصوفية في الحركة العلمية قيام بعضهم بشرح قصائده الصوفية التي تتضمن فكره ومبادئه وتصورات، مثل شرح أحمد زروق، وشرح ابن عجيبة، وشرح عبد الغني النابلسي، وشرح رشيد ابن سنان، وشرح حسين بن طعمة القادري.
- من مظاهر تأثير فلسفة الششتري الصوفية في الحركة العلمية أيضا قيام بعضهم بتلخيص مؤلفاته ورسائله كما فعل ابن ليون التجيبي مع رسالته العلمية.
- أثارت فلسفة الششتري الصوفية الكثير من التفاعل العلمي حولها قديما، أنتج هذا التفاعل مجموعة من المؤلفات، وقد نشر بعضها، ولا يزال بعض هذه المؤلفات مخطوطة يحتاج إلى الدراسة والتحقيق.

- وفي الأخير نوصي ونقترح أن تكثف الجهود للكشف عما تبقى من تراث هذا المتصوف في خزائن المخطوطات، لدراسته وتشكيل صورة أوضح وأكمل عن فكره وفلسفته ورؤيته للعالم والحياة والحقيقة.

6. قائمة المراجع:

- ابن عجيبة. (2013). شرح نونية الششتري (المجلد 1). (محمد العدلوني الإدريسي، المحرر) الدار البيضاء: دار الثقافة.
- ابن ليون التجيبي. (2004). الرسالة الششترية (المجلد 1). (محمد العدلوني الإدريسي، المحرر) الدار البيضاء: دار الثقافة.
- أبو الحسن، الششتري. (مخطوط). الرسالة القديمة المشعرة بالعلوم اللدنية. تركيا: مكتبة شهيد علي باشا.
- إدريسي، محمد العدلوني. (2005). أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية. الدار البيضاء: دار الثقافة.
- إدريسي، محمد العدلوني. (2005). التصوف الأندلسي: أسسه النظرية وأهم مداخله. الدار البيضاء: دار الثقافة.
- بومدين كروم. (2011). أبو الحسن الششتري الصوفي الجوال. الجزائر: دار التوفيقية.
- حسين بن طعمة القادري. (15, 11, 2023). مخطوط الشراب المري في شرح قصيدة الششتري. تم الاسترداد من المكتبة الوطنية الفلسطينية المحتلة: [https://www.nli.org.il/ar/manuscripts/NNL_ALEPH990034840880205171/NLI#\\$FL165349827](https://www.nli.org.il/ar/manuscripts/NNL_ALEPH990034840880205171/NLI#$FL165349827)
- رشيد، ابن سنان. (مخطوط). شرح قصيدة الششتري. المدينة المنورة: مكتبة مخطوطات الجامعة الإسلامية.

فلسفة التصوف عند الششتري وأثرها في الدراسات العلمية والأكاديمية

سيدي أحمد زروق. (2019). *شرح النونية والمقطعات الششترية*. (محمد إدريس طيب، المحرر) بيروت: كتاب ناشرون.

صابر طعيمة. (2005). *التصوف والتفلسف، الوسائل والغايات* (المجلد 1). القاهرة: مكتبة مدبولي.

عبد الغني النابلسي. (1960). رد المفترى عن الطعن في الششتري. (أغناطيوس عبده خليفة المسيحي، المحرر) *المشرق*، 3، 629. تم الاسترداد من

<https://archive.alsharekh.org/Articles/108/8423/175151>

عبد الغني النابلسي. (2015). رد المفترى عن الطعن في الششتري. (موسى محمد بدر فرحات، المحرر) *مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية*، 7(7)، 415.